علي عبد الله الصالح بين زمنين، وحبيب شرتوني واحد!

نبراس عثمان *

(الزمن الأول)

كتب توني كليفتون، الصحافي البريطاني والمراسل الحربي لمجلة «نيوزويك» الأميركية، في كتابه «بكى الله» (God Cried)، الذي نشرته «دار كوارتيت» البريطانية للنشر عام 1983: «إن عدد الذين نُحِروا بالفؤوس والسكاكين تجاوز الألف نسمة»، وأضاف: «إن الأمر الذي هز أعماقي وأثار شجوني كان مشاهدة أحدهم مطروحاً على الأرض، وآثار الحروق تغطي كل جسده، ليتَّضِحَ بعد ذلك أنهم قد صبّوا البنزين عليه قبل إحراقه وتحوله إلى كتلة من الفحم». لم يكن كليفتون، بالطبع، يصف «داعش» الذي نحر رقاب الآلاف كالشياه، ولا بحرقهم أحياء كما فعل مع معاذ الكساسبة وعزام عيد، وإنما كان يصف ما قامت به مليشيات حزب «الكتائب اللبنانية»، في صبرا وشاتيلا، انتقاماً لاغتيال بشير الجميّل من قِبَل الحزب السوري القومي الاجتماعي، بيد حبيب الشرتوني، وبتخطيط من المسؤول الأمني في الحزب نبيل العلم، وهما مسيحيان مارونيان، كما يروق للبعض توصيفهما.

بالمقياس الليبرالي الإنسانوي، في أشد عياراته، لا يمكن وصف عملية الاغتيال، التي تم تنفيذها بعبوة ناسفة تزن خمسين كيلوغراماً من المتفجرات، زُرِعَت في الطابق الذي يعلو «بيت الكتائب» في الأشرفية، ويتم التحكم بها عن بُعد، وأدَّت إلى مقتل الجميّل بعد بدء خطابه بعشر دقائق، مع 26 سياسياً كتائبياً آخرين، وتمزيق أشلائهم، إلا بالجريمة البشعة والمُدانة؛ ولكن، لم يكن ممكناً أبداً، في ذلك الزمن، وحتى على أرضية التخندق (العقلاني) مع قوى المقاومة، أن يتم توصيف ما حدث بأنه رعونة سياسية، وحماقة كبرى، ستُحَرِّض على المزيد من الاشتعال، ولو من باب أن عملية الاغتيال جاءت في خضم حرب طاحنة بين الأطراف المتناقضة في تخندقاتها السياسية إزاء الصراع مع القوى الدولية الإمبريالية، محلياً وإقليمياً ودولياً، وعلى إثر اجتياح قوات العدو للبلاد، وحصار واحتلال بيروت، من أجل القضاء على المقاومة، وطرد قوى الثورة الفلسطينية، وهو الهدف المُعلَن من قِبَل كيان العدو الإسرائيلي.

بالتحليل الماركسي اللينيني، كان اغتيال بشير، آنذاك، نتاجاً ثورياً لا مناص منه؛ ولم تكن المبادئ الثلاثة الأولى للحزب السوري القومي الاجتماعي، الرجعية في تقوقعها الإقليمي، والتي تعتبر أن «سورية للسوريين، وأن السوريين أمة تامة، وأن القضية السورية هي قضية الأمة السورية والوطن السوري، وأنها بذلك قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى»، تُشَكل عائقاً مبدئياً أمام اعتبار هذا الاغتيال عملاً بطولياً بالمفهوم الأخلاقي، وضرورياً بالقراءة العلمية السياسية، كما لم تلعب الطائفة الدينية التي ينتمي لها مُنَفِّذا العملية دوراً في إثارة أية زوبعة سياسية أو إعلامية ضمن صفوف المنتمين لخندق المواجهة؛ لم يحدث ذلك، ليس لأن الحزب كان يحمل مشروعاً اجتماعياً تقدمياً من خلال طروحاته الليبرالية العَلمانية الرومانسية إن صح التوصيف، وإنما لأن الزوبعة الوحيدة التي كانت قد فرضت قوانينها على الوعي العربي آنذاك، هي زوبعة الكفاح المسلح، بغض النظر عن كونها زوبعة القوميين السوريين، أو الشيوعيين، أو الاشتراكيين، أو القوميين العرب، أو مقاتلي الثورة الفلسطينية بكافة أطيافهم، أو حتى التيارات الدينية المقاومة للعدو.

إن وضوح العدو، كان بحد ذاته، عاملاً أساسياً آخر في وضوح التعاطي مع الحدث؛ فبعد لقاءاته مع مناحيم بيغن وإسحق شامير وآرييل شارون ورفائيل إيتان وأوري ساغي وغيرهم، في نهاريا وبكفيا، والاتفاق على الاجتياح الإسرائيلي لطرد قوات الثورة الفلسطينية وشن حرب على قواعد الجيش السوري من أجل «تحرير لبنان»، حسب توصيفه، وتأمين الأرضية السياسية اللبنانية من أجل توقيع اتفاق سلام مع العدو، كان بشير الجميل يُوَقِّع بيَدِهِ على قرار إعدامه؛ ليس رغبة منه بذلك بالطبع، وإنما كضرورة ثورية تاريخية لا بد من حدوثها، لأن غضّ الطرف عن ذلك كان سيعني، بعد ما تراكَمَ من تضحيات، إدخال لبنان في غياهب «كامب ديفيد» جديدة، وهو ما حاولت القوى والتيارات التصفوية آنذاك إكماله في سياق مشروع تصفوي، عند توقيع اتفاق 17 أيار/ مايو 1983 الخياني بمقاييس زمن الكفاح المسلح. أبرز من تصدّى لذلك الاتفاق كان حركة «أمل» (الشيعية)، التي وصفته على لسان رئيسها بأنه: «اتفاق الذل والعار، وقد وُلِدَ ميتاً»، والتي ساهمت وبقية قوى المواجهة في إسقاطه.

من الجدير بالذكر، وحسب ما أوردته صحيفة «ذي تايمز» البريطانية بتاريخ 30 آب/ أغسطس 1982، أن شارون ذاته، كان قد أجاب على سؤال الصحافية الإيطالية المتكرر عن سبب تراجعه إزاء ما وَعَدَ به بشير الجميل بتحرير لبنان من الوجودين السوري والفلسطيني، بما مفاده أن البيت الأبيض حَذَّرَ تل أبيب من التمادي في ضرب السوريين، لأن موسكو هدَّدت بالتدخل العسكري، فأمَرَهُ بيغن بوقف الغارات وسحب قواته المشتبكة مع الوجود السوري. لم يكن ذلك منفصلاً، بالطبع، عن قرار واشنطن بسحب الحراسة التي كانت قد وفَّرَتها للرئيس بشير الجميل تماماً قبيل اغتياله، كمؤشر سياسي على أن التضحية به كانت خياراً مفضلاً على مواجهة عسكرية كبرى وخسائر سياسية ممكنة الحدوث، وكمؤشر تاريخي على قيمة العملاء عند مشغليهم.

(الزمن الثاني)

لا يمكن بقفزة زمنية واحدة إيجاز الكم الهائل من المتغيرات والتعقيدات التي طالت أوجه وأدوات الصراع، ذاته، على مستوى القوى الدولية، والأنظمة والتيارات والتحالفات في الساحة العربية، وعلى مستوى الوعي به وفهمه، سواء من قِبَل النخب أو الجماهير في الشارع العربي. إنَّ طرحاً من قبيل أن «عدو الأمس بات حليف اليوم» يلاقي تجسيداً متنامياً له في المجريات السياسية التي نعيشها في العالم، وليس فقط في منطقتنا، منذ سقوط الاتحاد السوفياتي قبل ثلاثة عقود تقريباً. وقد يفرض هذا الأمر ضرورة القراءة المتأنية والفهم الدقيق لما تتضمنه الأحداث الكبرى والمنعطفات، سواء التكتيكية أو الاستراتيجية، من أبعاد ودلالات؛ لأن المواقف لا يمكن أن تكون معزولة عن طبيعة تلك القراءة وعمق ذلك الفهم.

> **قرار واشنطن بسحب حراسة الجميل مؤشر تاريخي على قيمة العملاء عند مشغليهم**

لقد برز نجم علي عبد الله الصالح في زمن كان قد أَتَمَّ ولادته بمخاض عسير، لتشكيل مفاهيم مشوهة وضبابية عن معان أخلاقية كالصمود والمواجهة، أو الانتهازية والخيانة؛ ولم تقتصر تلك المفاهيم العرجاء في تأثيرها، واستحكامها من الوعي العربي، على اليمن، بل أمسكته بين فكيها من خليجه إلى محيطه، وخصوصاً، بعد حالة الفرز والاستقطاب الشديدين التي شرخت المجتمعات العربية، نُخَباً وجماهير، عمودياً، وفقَ معايير ترتبط بإرث ثقافي واجتماعي ثقيل من العلاقات القرابية، عشائرياً وطائفياً. لكن، وفي التحليل الأخير، لم تتخلّ تلك المعايير عن طبيعتها التاريخية كتعبير عن مجمل المصالح والمكتسبات التي يراد تحقيقها.

الحوثيون، أحفاد الإمامة الرجعية في زمن مضى، أو حركة «أنصار الله»، كما يطلقون على أنفسهم منذ تأسيسهم عام 1992، لم يدَّعوا يوماً، أنهم يحملون، في أدبياتهم وخطاباتهم السياسية، مشروعاً تقدمياً شاملاً بالمعنى الماركسي، لكنهم، وبسبب واقع التهميش المتعمد الذي مارسه صالح عبر أكثر من 30 سنة من حكمه للبلاد، حملوا السلاح، واكتسبوا وعياً متقدماً في فهم طبيعة الصراع في المنطقة، وفهم ارتباطات صالح، ومن بعده عبد ربه منصور هادي، مع النظام السعودي. وليس أدلّ على ذلك الوعي المتقدّم من مضمون ما يطلقون عليه اسم «شعار الصرخة»: «الموت لأميركا، الموت لإسرائيل..»، ذلك الشعار الذي دفعت الحركة إثباتاً لإيمانها بضرورته آلاف الشهداء المقاتلين، وحشدت به مئات الآلاف من اليمنيين القابضين على السلاح، في الوقت الذي كان هادي فيه مرتمياً على عتبات قصور آل سعود، وصالح يحيك تحالفاته البهلوانية في العلن تارة، وفي الخفاء تارات، بينما يتعرض اليمن لأعنف عدوان همجي رجعي مدعوم من الإمبريالية الناهبة على مدار سنوات ثلاث وحتى اليوم.

لقد نسج صالح تحالفه مع الحركة، تحت عنوان صد الهجمة على اليمن، على قاعدة كسب المزيد من الوقت، والمراهنة على تغيير الرؤى التكتيكية السياسية للقوى المشاركة في العدوان نحوه، سواء في أبو ظبي أو الرياض، واقتناص الفرصة المناسبة للانقضاض على حليف الداخل وقلب الطاولة وتسليم زمام القرار السياسي لولي النعمة السعودي، وذلك كله على إثر الإطاحة به في همروجة الربيع العربي. ولم يكن ذلك الواقع الانتهازي خفياً على الحركة، لكن الأخيرة كانت تمسك دائماً بخيوط اللعبة السياسية والعسكرية في الداخل اليمني

توضيح من بطرس لبكي

ورد في العدد 3344 بتاريخ السبت 2017/12/9 في الصفحة 22 في مقال أسعد أبو خليل بعنوان «رجل الدين والشاعر: المطران عودة في مواجهة مصطفى سبيتي»، فقرة تناولتني كما يأتي:

«بطرس لبكي لم يتعرض لعقوبة (غير قانونية)، إلا بعدما اتهم باغتصاب أو تحرش بأطفال (أيتام، عادة) في فرنسا. والتحقيق الفرنسي هو الذي دفع الفاتيكان إلى إجراء تحقيق من قبلها، وجدت فيه أن الاتهامات ضده صحيحة».

إن هذا الخبر لا علاقة له بالواقع وأكذّبه جملة وتفصيلاً.

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

الدكتور بطرس لبكي

المحرّر: نعتذر من الدكتور لبكي على الخطأ، وجرى تصحيح الاسم.

خطاب بنبرة صوتية واحدة، وأربع أفكار

محمد فرج *

لا في خطاب تحرير الجنوب عام 2000، ولا في احتفال استقبال الأسرى – وعلى رأسهم الشهيد سمير القنطار – ولا في خطاب انتصار المقاومة عام 2006، سار خطاب سماحة السيد حسن نصرالله على سكة واحدة، وبنبرة صوتية واحدة، غاضبة ومتحدية، كما كانت عليه الحال في خطابه في الضاحية الجنوبية.

اعتدنا في خطابات السيد أن تكون موجِية الطابع، تراوح بين الخطاب الحماسي الحاد، والشروحات الهادئة، والسخرية المبطنة أحياناً. أما في الضاحية الجنوبية أمس، فكان الخطاب بقالب آخر، وتيرة واحدة من البداية حتى النهاية، عنوانها الأساسي الغضب وقمة الجاهزية والاستعداد للمبادرة والرد على أي تهديد يمسّ فلسطين قبل أن يمسّ لبنان.

وبما أن كلاً من ترامب ونتنياهو قرّرا التصريح بفجاجة بالصيغة الثنائية، إما – أو، كان لا بد لخطاب سماحة السيد أن يسير على هذا الإيقاع... «الموت لإسرائيل»، «الموت لأمريكا».

المعادلة الثنائية عند ترامب ونتنياهو، والرد عند سيد المقاومة، جميعها لا تحمل أي جديد في سياسة الطرفين، ولكنها تحمل جديداً في صياغة الموقف الأميركي وطريقة إخراجه، الانتقال من التمايز بين الموقف المعلن والمضمر، إلى توحيدهما، وهذا ما يؤسس لمرحلة جديدة في المنطقة والعالم، عبّر عنها السيد ضمن خطابه في عدة أفكار، منها:

أولاً: المقاومة الفلسطينية هي مفتاح الحل، تصاعد رد الفعل الفلسطيني يفتح الباب لمزيد من الإسناد المحيط. صحيح أن المطالبة بتوحيد الفصائل الفلسطينية تحت العنوان نفسه قد لا يكون أمراً سهلاً، إلا أن خطوة ترامب نزعت كل ذرائع وحجج ومبررات وتفسيرات التيارات المؤمنة بمسار التفاوض. خطوة ترامب عزّزت نهج المقاومة في فلسطين ليبتلع حجج المسار التفاوضي من جهة، ويكسب أغلبية الشارع الفلسطيني من جهة أخرى. فلسطين جاهزة اليوم للانحياز لخيار واحد (خيار المقاومة)، ودون إشكاليات داخلية، وهذا هو الأهم.

ثانياً: محور المقاومة ينهض من جديد، مع كل آلامه وجراحه، ويكاد ينهي معاركه بعد سنوات عجاف ألّمت بالمنطقة بأكملها. مع الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لانتصار محور المقاومة على مشروع التفتيت والتفكيك والفتن، إلا أن هذا المحور اليوم يكسب أكثر في تذويب الدعاية الخليجية الأميركية المضادة، التي جرى تفعيلها طوال السنوات الماضية. هل سنسمع شاباً عربياً يعيش في الفلك الاقتصادي والثقافي السعودي يقول: «بات كل شيء جلياً، أنا مع المحور المقاوم»، حدث ذلك! وسيحدث أكثر، و«يميز الخبيث من الطيب».

ثالثاً: كان ترامب يتوقع أن العالم سيتدافع ويلحق به في اعترافه هذا. يمكن القول إننا تعودنا أن تقف أميركا اللاتينية معنا في قضايانا، ولا سيما أنها ما زالت تتعرض لما نتعرض له نحن. ولكن المعادلة القاسية عند الأميركي هي أوروبا، فمهما حاول اليمين في أوروبا التماهي مع السياسة الأميركية،

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير - المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريم

■ صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01/666314-15 -
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper